

أبناؤنا ومواقع التواصل الاجتماعي

محمد بن أحمد الشلاء



الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد. والصلوة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.
أما بعد:

فقد كثُر الكلام والنقد والتنظير عن واقع أطفالنا ومستقبلهم، وُصِّبَتْ لهم مواقع التواصل الاجتماعي. وأعدَّتْ البحوث والدراسات حول هذه الظاهرة، وأصبح الكل يعرف المخاطر ويعي الأضرار عين اليقين، ومن هذه الأضرار:

أولاً: أضرار في العقيدة، والأخلاق، والسلوك، والتوجهات.

ثانياً: أضرار في العلاقات واللقاءات الاجتماعية.

ثالثاً: أضرار في الصحة النفسية، والعقلية، والسلوكية، والجسدية.

وأضحى الكل يحدّر ويُنذِر، ويُرعد ويُرِيذ، ويرى تجارب غيره وأثر تلك التجارب. ولكن الذي لا أفهمه أن الكل مستسلم خاضع، وكأنَّ الخطر على غيره وليس عليه، وكأنَّ ولده نوع خاض.

المصيبة!! أنَّ الطفل البريء، صاحب الفطرة السليمة، عندما يبدأ بطبيعته في الحركة والنشاط، واكتشاف الأشياء من حوله بعفوية وبراعة، هنا تعطيه مواقع التواصل الاجتماعي، وتركته نهبا لضررها وعبئها به، وبعقله، وعواطفه، وسلوكه، زعمًا من أن ذلك يفرحه ويسعده، ويهدئ من روعه، ويحد من عبئه، ويمنغ خروجه إلى الشارع.

وهنا تبدأ الأخطار تحيط بالناشي شيئاً فشيئاً، ولو رجعنا إلى أنفسنا، ونساءنا:

أين مَعَرَفَتُنَا بِخَطَرِ مَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ الاجْتِمَاعِيِّ؟

أين ما سَاهَدْنَاهُ وَتَحَقَّقْنَا مِنْهُ مِنْ مَعَبَّةٍ وَفِدَاخَةٍ عُرُوفِ الأَطْفَالِ عَلَيْهَا؟

نجد أن الجواب: هو عدم ظهور الأثر السريع لتلك المواقع، والتساهل والتغافل، وإن شئت قل اللامبالاة.

وهنا وقفة: فعند البخاريّ ومسلم والترمذيّ والنسائيّ، من حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- عن النبيّ -ﷺ- قال: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ عَلَى مَسْئُولٍ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ عَلَيْهِمْ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى بَيْتِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فكلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ).

فهل نستشعر تلك المسؤولية؟ ونقوم بالرعاية الشرعية؟

وهنا وقفة أخرى: مع حديث عظيم من أحاديث الرسول -ﷺ- عند البخاريّ ومسلم من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-: (كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَاؤُهُ يَهُودِيَّةً أَوْ نَصْرَانِيَّةً أَوْ يَمَجْسَانِيَّةً).

فكلُّ مولودٍ يولد وهو قابلٌ لدين الإسلام؛ لأنَّ فطرته تتقبلُ هذا، لكن الفطرة قد تتغير بسبب التربية السيئة. فهل نستشعر أن مواقع التواصل الاجتماعي قد تهدم تلك الفطرة؟

وهنا يرد إشكال: وهو أنَّ الحاجة ماسةٌ إلى مواقع التواصل الاجتماعي، والضرورة ملحةٌ في التعامل معها، وهي وسيلةٌ فعالةٌ في التعليم والتدريب وغيرها من أمور الحياة.

والجواب على ذلك: هو التوسط والاعتدال في تعاملنا مع مواقع التواصل الاجتماعي. وقد ذكر علماء السلوك وخبراء هذا المجال لكل مرحلة من مراحل الطفل والمراهق والشاب وقتاً وقدرًا وطريقةً في التعامل معها.

وعلينا أن نسلِّق بأبنائنا طريقًا واضحةً الخطوات في التعامل مع مواقع التواصل الاجتماعي:

أولاً: تحديد سبب حاجة أبنائنا لمواقع التواصل الاجتماعي، سواء كانت للدراسة، أو العمل، أو الترفيه. وهنا نزن كل حاجة بما يناسب تحقيق المقصود منها.

ثانياً: تقنين زمن الاستخدام لهذه المواقع. فلا نهدر الوقت بدون طائل.

ثالثاً: التوازن بين الحياة الرقمية والتفاعل الشخصي للأبناء بتنظيم اللقاءات الودية مع الأصدقاء والعائلة بعيداً عن الشاشات، وإعادة اللحمة الأسرية.

رابعاً: المساعدة في اختيار المحتوى الذي يتناسب مع اهتمامات أبنائنا بعناية، وتجنب المحتوى الذي قد يكون مضيقاً للوقت.

خامسًا: غرس الوعي والمراقبة الذاتية في نفوس الأبناء بما يكبح جماح سطوة هذه المواقع.

سادسًا: الاستفادة من استخدام التطبيقات المفيدة التي تساعد على تحسين الإنتاجية وتعزز جانب الإبداع والابتكار.

وختامًا: فإن مواقع التواصل الاجتماعي أصبحت واقعًا لا يمكن تجاهله في عالمنا المعاصر، ولم تعد مجرد أدوات ترفيهية فحسب، بل تحولت إلى جزء أساسي من حياتنا اليومية، فقد اقتحمت بإيجابياتها وسلبياتها كل منزل وأصبح واقع الأسرة اليوم يختلف عن الأمس، وظهرت تحديات عديدة في العلاقة بين الآباء والأبناء. فالمسؤولية كبيرة، والأمانة عظيمة، والعمل ثقيل، لذا يجب علينا تعزيز مهارات الرقابة الذاتية التي تجعل أبنائنا في مأمن من أضرار مواقع التواصل الاجتماعي وتبنيها بشكل إيجابي لضمان الاستفادة القصوى منها بالوعي والمعرفة.

والحمد لله رب العالمين، وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.